

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[30] معارضي عقيدتهم و يقولون لهم بأنهم من أهل النار والعذاب، وأنهم ضالون، و يعتبرون أنفسهم من الناجين، قد يكون هذا الموقف سبباً في أن يقف المعارضون موقفاً سلبياً إزاء دعوة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم). إضافة لذلك، فإنّ الإتهامات التي يطلقها المشركون ضدّ شخص رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) و يتهمون به فيها بالسحر والجنون والكهانة والشعر، قد تكون سبباً في أن يفقد المؤمنون السيطرة على أنفسهم و يبدأوا بالتشاجر مع المشركين و يستخدموا الألفاظ الخشنة ضدّهم... القرآن يمنع المؤمنين من هذا العمل و يدعوهم إلى التزام اللين والتلطّف بالكلام واختيار أفضل الكلمات في أسلوب التخاطب، حتى يأمنوا من إفساد الشيطان. كلمة (بينهم) وُفقا لهذا الرأي توضح أنّ الشيطان يحاول زرع الفساد بين المؤمنين و من يخالفهم؛ أو أنّه يحاول النفوذ إلى قلوب المؤمنين لإفسادها "ينزع" مشتقة من "نزع" وتعني الدخول إلى عمل بنية الفساد. بملاحظة مجموع هذه القرائن يتبيّن لنا أنّ التفسير الثّاني ينطبق مع ظاهر الآية الكريمة أكثر من التفسير الأوّل، لأنّ كلمة (عبادي) في القرآن تستخدم عادة لمخاطبة المؤمنين، إضافة إلى أن سبب نزول الآية يؤيد هذا المعنى و يدعم هذا التفسير، إذ ينقل بعض المفسّرين أنّ المشركين كانوا يؤذون أصحاب الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في مكّة و يضيقون عليهم، و في أثناء ذلك كان بعضهم يأتّي إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يستأذنه و يلج عليه في مواجهة المشركين بالمثل (على الأقل الرد عليهم بالفاظ شديدة تناسب ألفاظ المشركين) والبعض يطلب الإذن بالجهاد، ولكن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يبيّن لهم بأنّه لم يؤذن له بعد القيام بهذه الأعمال. و في هذه الأثناء نزلت الآيات أعلاه تؤكد بأنّ التكليف مازال يتمثل في استمرار الدعوة بالكلام، والمجادلة باللفظ وبألفاظها هي أحسن(1).

1 - إلى هذا الرأي يذهب الشّيخ الطبرسي في مجمع

البيان، والقرطبي في تفسيره. يُراجع تفسيرهما للآية الكريمة.